اهتمامات الرأي العام التونسي بقضايا الثورة لجزائرية جريدة الصباح التونسية نموذجا1954/1958

د. أحمد مسعود سيدعلي / قسم التاريخ/ جامعة المسيلة
sidali_280@yahoo.fr

ملخص الدراسة باللغة العربية:

شكلت الصحافة التونسية كمنبر إعلامي منبعا نهلت منه الثقافة التونسية وبلورتها في اتجاهات كثيرة أهمها الاتجاه السياسي حيث كرست الوحدة بين شعوب منطقة المغرب العربي وبلورة الفكر المغاربي،فاهتمامات الصحافة التونسية بالشأن الجزائري جاءت مبكرة قبل اندلا ع الثورة الجزائرية وبعد ها وخلالها غدت بشكل أو بأخر الناطقة باسم الثورة تسجل في أحداثها العسكرية والسياسية وتشهر بسياسة القمع الاستعماري التي طالت الشعب الجزائري،لكن ظلت هذه المنابر تخضع لمشارب مختلفة كانت تنهل منها لأجل ذلك،اختلفت درجة تفاعلها مع أحداث الثورة باختلاف تلك المشارب السياسية والمصالح الضيقة لإيديولوجية الأحزاب المعبرة عنها ،وجريدتي الصباح والعمل التونسيتين وإن كانت الثانية لسان حال الحزب الدستوري الحر والأولى مقربة منه إلا أن هذه الأخيرة كانت تعبر بشكل أكثر راديكالية من العمل عن مواقف حازمة ناصرت فيه الثورة الجزائرية واعتقدت في ضرورة ربط كفاح الشعب التونسي قبل الاستقلال في مارس1956،باستقلال الشعب الجزائري بل ومنطقة المغرب العربي برمتها،فهي كانت تساير خط القائد صالح بن يوسف وانتهجت فيما بعد نهج اليوسفية التي اختلفت عن البورقيبية في التعامل مع الوضع الإقليمي للمنطقة وتسوية الملف التونسي مع الإقامة العامة الفرنسية.

ملخص الدراسة باللغة الانجليزية:

Tunisian press formed as a media outlet fount drank it Tunisian culture and fleshed out in many directions the most important political trend where devoted unity among the peoples of the Maghreb region and the development of the Maghreb thought, Vahtmamat Tunisian press the Algerian affairs came early before the outbreak of the Algerian revolution and after her and which has become more or less a spokeswoman for Revolution sign up for military and political events and be declared a policy of colonial repression, which affected the Algerian people, but these platforms have been subject to different walks were draws them to order it, different degree of interaction with the events of the revolution according to those political stripes and narrow interests to ideological mouthpiece of her parties, and the newspapers the morning and work Altoncetin albeit second mouthpiece destour and the first close to it, but the latter was crossing the more radical than working for the positions determined which championed the Algerian revolution and believed in the need to link the struggle of the Tunisian people before independence in March 1956, the independence of the Algerian people and even the Maghreb region as a whole, they were keep pace line Salah Ben Youssef commander and later pursued Yusufiya differed from Bourguibism in dealing with the regional situation of the region and the settlement of the Tunisian file with the French public accommodation approach

1 – موقف تونس من دعم الثورة الجزائرية :

إن التوجه المغاربي المشترك في تعميم الكفاح المسلح سرعان ما فتر إثر تصريح قرطاج ومباشرة الحزب الحر الدستوري لمفاوضاته مع فرنسا، وقد كانت العناصر المؤثرة في الحزب تحرص على أن يكون إطار العمل المسلح محدود المجال والزمان، فهومجرد عنصر ضغط على فرنسا لإلغاء نظام الحماية والجلوس إلى المفاوضات، لكن هذه السياسة ما كانت لتثمر في رأي الكثيرين لولا الانعكاسات التي أفرزتها الثورة الجزائرية، فقد أدى اندلاعها بعد أشهر من تصريح قرطاج إلى تسريع فرنسا لوتيرة التفاوض مع التونسيين، وسلمت في جوان 1955 بالاستقلال الذاتي لتونس، وعززت موقف بورقيبة في مواجهة الرافضين لهذا الاتفاق والداعين إلى مواصلة الكفاح ومساندة الجزائر.[1]

وفي الوقت الذي كانت فيه الثورة الجزائرية تمد نفوذها إلى تونس وتتعاون مع أنصار صالح بن يوسف لتمرير السلاح وشن الهجمات المشتركة على القوات الفرنسية كان الصراع السياسي على أشده بين بورقيبة وصالح بن يوسف ، إذ كان كلّ منهما يحاول تأكيد اتجاهه ونفوذه ، ولكن حدة الصراع خفت إثر إعلان فرنسا استقلال تونس في مارس 1956 ،[2]والظاهر أن تطور موقف السلطات التونسية بقيادة لحبيب بورقيبة تجاه الدعم الفعلي للثورة الجزائرية والسماح بإقامة قواعد خلفية لجيش التحرير الوطني على الأراضي التونسية –على الرغم مما كان سيشكله هذا التوجه من مخاطر على تونس كما سنرى لاحقا– ، كان رهين باتساع حجم التضامن الشعبي وتمسك المعارضة التونسية بمواقفها الداعي إلى ضرورة دعم القضية الجزائرية .

لم يكن بوسع تونس عشية استقلالها أن تعلن دعمها للثورة الجزائرية، أو تبدي تأييدها لأهداف جبهة التحرير الوطني في كفاحها، خاصة وأن النفوذ العسكري

والاقتصادي الفرنسي بقي سيد الموقف ولم يتحقق استقلال تونس التام، ولهذا قررت تونس مباشرة مفاوضات التعاون النهائية لتعزيز الاستقلال القطري، وقد قدمت دعمها لنشاط الثوار الجزائريين بصورة خفية من جهة، وسعت من خلال بذل الجهود السياسية لإيجاد حلول للقضية الجزائرية من جهة أخرى.[3]

إن نظرة جبهة التحرير الوطني لاستقلال تونس كانت متباينة، إذ أن مسؤولي الوفد الخارجي وثوار المناطق المتاخمة لتونس كانوا يفضلون استمرار تونس في الكفاح، ويرتاحون للتعامل مع أنصار ابن يوسف في تزويد الثورة بالسلاح، حيث واصل عبد الحي الأوراسي ومحساس التعاون مع المعارضة عبر الجنوب التونسي ، أما مسؤولو الداخل فأدركوا انه لا مناص من التعاون مع الحكومة الجديدة التي ابدت رغبتها في ذلك بفضل تضامن الشعب التونسي ، وتقرر في مؤتمر الصومام بعد دراسة الوضع بتونس الاعتماد على المسعى الحكومي وتنسيق العمل مع حكومة بورقيبة في الميدان السياسي و التعبوي و خاصة إيجاد آلية محكمة لتمرير الأسلحة[4]

لقد تدعم نشاط جبهة التحرير الوطني بتونس منذ شهر ماي 1956 ، و ذلك بإنشاء النظام السياسي والعسكري للثورة الجزائرية تحت مسؤولية عبد الحي الأوراسي وجماعة " الداخل"[5]وبعدها بإشراف محساس[6]حيث توطد النشاط السياسي والعسكري بقاعدة تونس وأطرت الجالية الجزائرية، كما ازدادت قوة التأييد الشعبي التونسي مع القضية الجزائرية، وقدمت الحكومة التونسية تسهيلات معتبرة للثورة الجزائرية، وأصبح لهذه الأخيرة نفوذها الخاص في تونس منذ سنة1956 .

وكان موقف الحكومة التونسية التضامني مع الجزائر يعبر عن الرغبة في احتضان الموقف الشعبي التونسي، وهو رهان مهم لتحقيق الانتصار السياسي على المعارضة اليوسفية، كما انه كان يهدف الى كسب الجزائريين إلى جانبها وتنظيم نشاطهم بشكل

يحقق الاستقرار والأمن في تونس، ولهذا بادرت حكومة بورقيبة الى كسب الجزائريين لصفها والحصول على اعتراف جبهة التحرير الوطني بنظامها، وتحقيق الاستقرار والنظام في تونس بشكل يؤهل بورقيبة لإقامة علاقات التعاون مع فرنسا [7]، وفي إطارها يسهل معالجة مشاكل الشمال الإفريقي، غير أن المشكل الجزائري وقف عائقا أمام سياسة التعاون التي أملت الحكومة التونسية إقامتها مع فرنسا، وتعرضت المفاوضات التونسية – الفرنسية حول اتفاقية التعاون إلى الانقطاع المستمر نتيجة تصلب الموقف الفرنسي وإصراره على بقاء القوات الفرنسية في تونس وضرورة إيقاف مساعدة الثوار الجزائريين، والتزام موقف الحياد بخصوص المشكل الجزائري.[8]

وعلى الرغم من التسهيلات المدعمة لنشاط جبهة التحرير الوطني في تونس فإن الموقف السياسي للحكومة التونسية لم يرق إلى مستوى أهداف ومبادئ الثورة الجزائرية، وذلك نظرا لاختلاف التوجهات السياسية وتباين طبيعة القضية الجزائرية عن القضية التونسية، ويتجلى لنا أن تصور المشكل الجزائري في نظر بورقيبة ينم عن تجاهل لحقيقة الثورة الجزائرية، إذ لم يكن بورقيبة يسلم بأن الجزائريين أدرى بخلافاتهم وأعرف بحلول قضيتهم. وبالرغم من اعترافه أن المشكل التونسي يختلف عن المشكل الجزائري وتسليمه باختلاف الوضع الدستوري بينهما، فإنه كان يظن أن فرنسا كما تنازلت عن تونس والمغرب ستلجأ للتفاوض مع الجزائريين وأن على هؤلاء ألا يعولوا على الحل العسكري فيقبلوا بسياسة التفاوض مع فرنسا ولو أدى ذلك للقبول بمبدأ الحكم الذاتي[9]،ولم تكن مثل هذه الاقتراحات لترضي جبهة التحرير الوطني، كون طبيعة المشكل التونسي تختلف تماما عن مشكل الجزائر لأن فرنسا كانت مصممة على عدم الاعتراف بالهوية الجزائرية، فضلا عن حق الشعب الجزائري في الاستقلال، وقد أكد أحد مسؤولي جبهة التحرير الوطني في نهاية 1955 مشيرا إلى الاتفاق الفرنسي التونسي :"إننا نستنكر هذا الاتفاق ولو عرض علينا اتفاق مماثل في الجزائر فإننا نرفضه" [10].

ولم يكن بإمكان الحكومة التونسية أن تعترف بسياسة جبهة التحرير الوطني ومبادئها الكفاحية منذ البداية، وحددت موقفها بالإعراب عن أملها في إيقاف الحرب وحل المشكلة بين الطرفين بالطرق السلمية، وهذا ما أكده الرئيس بورقيبة يقوله: "إن تونس المستقلة تتألم من الحرب الفاشية المسلطة على الشعب الجزائري الشقيق وتصرح هذه الحكومة بأنها سوف تبذل كل ما في وسعها لتساعد على إيجاد الحلول السلمية التي تضمن للشعب الجزائري الشقيق حقوقه الوطنية ليسود الاطمئنان كامل أقطار شمال إفريقيا ويزول آخر عامل يكدر صفو العلاقات بين الشعبين التونسي والفرنسي" [11].

-2- جريدة الصباح:

هي جريدة سياسية إخبارية صدرت بداية من الفاتح من نوفمبر1951،قريبة من الحزب الدستوري الحر مديرها الحبيب شيخ روحه،توقفت عن الصدور من 21أوت1957الى 21مارس1958حيث عادت للصدور من جديد.

شكل خط الجريدة الأكثر راديكالية بالمقارنة مع جريدة العمل لسان حال الحزب الدستوري الحر شكل لها هذا الخط أكثر مقروئية بالمقارنة أيضا مع العمل خاصة لدى الجزائريين وعلى الخصوص بالشرق الجزائري،حتى أن الحكومة العامة بالجزائر قررت منع دخولها الى الجزائر بالنظر لما كانت تروج له من أفكار تحررية وبذلك صدر قرار حجزها بتاريخ09جوان1951.[12]

-1-2- البعد المغاربي في خط الجريدة:

لقد ساهمت جريدة الصباح بشكل واسع في بلورة الوعي المغاربي بين شعبي تونس والجزائر،بل وراحت تغطي ما كان يدعو اليه الأمين العام للحزب الحر الدستوري صالح بن يوسف صاحب فكرة مغربة النضال التحرري بالمنطقة لتخليص المنطقة من براثين الاستعمار،في إطار الانتماء العربي الإسلامي[13].

كما ندد باستعمال الجنود التونسيين في حرب الجزائر لاستعمالهم كدروع بشرية لقتال أشقائهم من الجزائريين بل اعتبرت هؤلاء من المغرر بهم ،خاصة بعد أحداث الشمال القسنطيني أي هجومات العشرين من أوت 1955،حيث شاركوا في القمع الذي تعرض اليه الجزائريون، القومية من التونسيين والمغربيين وعبرت الجريدة عن أسفها العميق وألمها في أن يشارك أبناء الأمة الواحدة في قتال بني جلدتهم مناصرة للاستعمار.[14]

كما احتجت الجريدة على إبعاد الصحفي الجزائري الحاج محمد الناصر مراسل جريدة الرأي المغربية ومندوب إذاعة المغرب الذي استدعته مصلحة أعوان أمن الحدود وأبلغته بقرار الإبعاد إلى الأراضي الجزائرية.[15]

وشهرت الجريدة بهذه الإجراءات التعسفية وسياسة الكيل بالمكيالين في حق اللاجئين الجزائريين بتونس من خلال القضاء حيث كانوا يخضعون لمحاكمات خاصة.[16]

ركزت أيضا الجريدة على حملات التوعية التي قادها صالح بن يوسف ضد اتفاقية الاستقلال الذاتي التي انتهجها بورقيبة مع الإقامة العامة الفرنسية واعتبرها تخليا صارخا للفكر التحرري المغاربي واعتبرها مؤامرة تخدم الدوائر الاستعمارية لتتفرغ فرنسا للجزائر وتركز قواها على أرض عقب بن نافع،ففي أكتوبر من سنة1955،أشرف صالح بن يوسف على اجتماع جماهيري بجامع الزيتونة ندد فيه باتفاقية الاستقلال الذاتي،واعتبره صفقة سياسية خاسرة كما أشاد بنضال الجزائريين ضد الاحتلال الفرنسي ونوه بضرورة مؤازرة ثوار جيش التحرير الوطني ومناصرتهم،لأنه من غير المنطقي أن يحقق شعب من شعوب منطقة المغرب العربي الكبير الاستقلال في الوقت الذي يظل فيه شقيقه يئن تحت نير الاستعمار،ذلك أن مستقبل المنطقة ومصيرها واحد.[17]

لقد نوهت الجريدة لقضية خطيرة أشار إليها صالح بن يوسف وهي أن الاستقلال الذاتي الذي ستتحصل عليه تونس كان في الحقيقة على حساب الثورة الجزائرية وعلى حساب سيادة تونس ذاتها التي انتقصت ولم تتحقق كاملة بقبول وفد الأمانة العامة للحزب الحر

الدستوري بقيادة بورقيبة الدخول في مفاوضات ،غير آبه بمواقف المكتب السياسي وبقية القوى الوطنية الأخرى والحركات التحررية المغاربية،لأجل ذلك أكدت الجريدة على البعد المغاربي في النضال من أجل تحقيق الاستقلال الكامل والذي لا يكون إلا باستقلال كافة شعوب المنطقة.

لقد اقتفت الجريدة أثر صالح بن يوسف الايديولوجي وانتهجت نهجه بتبنيها لأفكاره فهي كانت تحذر من مغبة الانخداع وراء أسطورة الاستقلال الذاتي الذي كان يروج له البورقيبيون وكانت تنبه الجزائريين من محاولة التفرقة التي كانت تروج لها بالجزائر إدارة الاحتلال من أن قبائل ميزاب هم ضد الثورة وهو ما أشار اليه صالح بن يوسف في أدى التجمعات التي عقدها بجامع الزيتونة حيث دعا إلى رص الصفوف ومواصلة النضال،لتحقيق الاستقلال الكامل لشعوب المنطقة.[18]

من جهتها رصدت جريدة الصباح المواقف الخارجية التي تبناها صالح بن يوسف لصالح القضية الجزائرية،فبعد توجيهه لبرقية إلى ممثل الكتلة الأفروآسيوية بهيئة الأمم المتحدة على اثر تسجيل القضية الجزائرية عبر عن كامل تضامن الشعب التونسي مع الثورة الجزائرية في كفاحه ضد الاحتلال الفرنسي،كما سجلت الجريدة اتمنان الفودين المغربي والجزائري المنضويين ضمن كتلة الدول الأفروآسيوية امتنانهما على الربقية التي أرسل بها صالح بن يوسف واعتبرها مؤشر خير يرموا الى تحقيق وحدة شعوب المنطقة بعد تحقيق الاستقلال.[19]

إن هذه المواقف هي التي أخذت تعطي للثورة الجزائرية زخما قاريا بعد أن حققت التلاحم الاقليمي مع شعوب المغرب العربي لتتجه صوب الدول الإفريقية والأسيوية ضمن كتلة كانت تحضر لإنشاء تكتل عالمي جديد يقف في وجه الظاهرة الاستعمارية لن ترتسم ملامحه إلا بعد أن تتعزز قوة الثورة في الميدان بمواجهتها جحافل جيش الاحتلال الفرنسي وتوخز الدبلوماسية الفرنسية في المنابر العالمية،هذه المواقف هي أيضا التي طرقت للثورة

الجزائرية أفاقا واعدة وخصبة لخرق الستار الفرنسي المضروب على الجزائر منذ1830،وولوج أروقة الأمم المتحدة لطرح القضية الجزائرية،لأجل ذلك فإن مواقف راديكالية كتلك التي عبر صالح بن يوسف كانت تثلج صدر مبعوثي جبهة التحرير الوطني بالخارج وتؤكد لهم تضامن الشعب التونسي مع الثورة الجزائرية،وهو ما عبر عنه السيد محمد خيضر ممثل جبهة التحرير الوطني بالقاهرة،الذي أشاد بالمواقف التقدمية لصالح بن يوسف سواء تجاه الثورة الجزائرية أو بخصوص المسألة التونسية وموقفه من قضية الاستقلال الذاتي التي كان بورقيبة يعتزم إتمامها مع الجانب الفرنسي.

كان صالح بن يوسف على حد ةتعبير جريدة الصباح مدركا لدسائس الاستعمار الفرنسي ،وفي هذا السياق أدلى بحوار لجريدة لوفيقارو الفرنسية ،نفى فيه الدعاية المغرضة التي كانت تروج لها سلطات الاقامة العامة بتونس ومفادها أن اتفاقية الاستقلال كانت تجري على قدم وساق بين كافة تيارات الحركة الوطنية التونسية،وأن ما يجري من أحداث هي معزولة ولا علاقة لها بما يجري من أحداث بالجزائر ،بل راح يؤكد على رفض الشعب التونسي لاتفاقية الاستقلال الذاتي ويعلن تبنيه للمقاومة العسكرية وجهود التنسيق بين جيش تحرير تونس وجيش التحرير الوطني خاصة على الحدود الشرقية[20].

كان للجريدة مواقف جد مشرفة من الثورة الجزائرية وحازمة تجاه الحكومة الفرنسية التي كانت تعتبرها دولة استعمارية تنتهك في المواثيق الدولية،كم أشادت الجريدة بمساندة التونسيين لأشقائهم الجزائريين واعتبرت هذه المساندة روح المغرب العربي الكبير،بل وشكلت الجريدة في بالكثير من الأحيان لسان حال الثورة إذ لم تقتصر على نشر أخبار الثورة في أعمدتها بل راحت تخصص صفحات لتتبع مسار الثورة.[21]

كما كانت الجريدة تقوم بالدعاية الإعلامية والسياسية لصالح جبهة التحرير الوطني،من مثل نقلها للندوات والمؤتمرات الصحفية التي كان يعقدها قادة الثورة بتونس،كتلك التي

عقدها مبعوثي الثورة من الداخل السيدين فرحات عباس ومحمد لأمين دباغين ،من جهة ومبعوثي الثورة بالخارج آيت أحمد وأحمد محساس،وقد ضم هذا اللقاء أيضا الرشيد بن عبد العزيز الكاتب العام لاتحاد العام للعمال الجزائريين وعمر أوعمران وابراهيم مزهودي ومصطفى بن عودة،وفي أثناء هذا اللقاء أشاد لامين دباغين بموقف تونس من الثورة وأعرب عن امتنانه لاحتضان الشعب التونسي للثورة الجزائرية.[22]

لقد ظل خط جريد العام ينتتبع في تطورت القضية الجزائرية عبر الكفاح المسلح الذي شنته وحدات جيش التحرير الوطني والنضال الذي خاضه قادة جبهة التحرير الوطني إن على المستوى المحلي أو الااقليمي لتدويل القضية الجزائرية والخروج من العزلة الاستعمارية التي فرضتها جل الحكومات الفرنسية بذريعة أن ما كان يحدث في الجزائر هو شأن داخلي ،لكن المتتبع لأعداد الجريدة ومدى تغطيتها للحدث عبر اهتمامات الرأي العام التونسي يدرك كيف تمكنت هذه الأخيرة من بلورة النضال المغاربي لدى الرأي العام التونسي ومنه لدى لشعوب المنطقة برمتها ويمكن تتبع عينات من هذا الرأي الذي رصدت جريدة الصباح مختلف مواقفه من تطورات الثورة الجزائرية في:

1-الحركة الزيتونية:

الزيتونيون هم تلك الفئة المتخرجة من جامعة الزيتونة الذي غدا منذ القرن الثالث للهجرة فضاء للتعليم ثم منارة علمية في عهد الدولة الحفصية،وبالرغم من حالة التردي التي أصابت هذه المنارة خلال العهد الاستعماري إلا أنها حافظت على فاعليتها ضمن هيئات – مثل هيئة صوت الطالب المسلم- استحدثها الزيتونيون أنفسهم،ساهمت في بلورة رأي عام تونسي زيتوني على الساحة التونسية و الإقليمية

لقد تفاعل الزيتونيون مع الثورة الجزائرية وعبروا عن تأييدهم المطلق لنصرة الشعب الجزائري بل راحوا يسعون لايجاد أليات لتجنيد التونسيون في صفوف وحدات جيش التحرير

الوطني المقاتلة بالجزائر،وخلال انعقاد المؤتمر الزيتوني [23] في خريف 1955،أصدر المؤتمر لائحة سياسية بخصوص القضية الجزائرية،عارض فيه تجنيد التونسيين ضمن الفيالق الأجنبية التي كانت تعبئهم فرنسا لمقاتلة وحدات جيش التحرير الوطني .

كما اجتمعت هيئة صوت الطالب المسلم ونددت في تطورات القضية الجزائرية والأعمال الوحشية التي كان يمارسها جيش الاحتلال بالقرى والمداشر الجزائرية،كما أيدت هيئة صوت الطالب المسلم مطالب الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بعد الإعلان عن الإضراب بفرنسا أولا والالتحاق بالثورة ،واعلنت الهيئة تضمانها الكامل مع إخوانها الطلبة الجزائريين المضربين عن الطعام بفرنسا وكبرت فيه روح النضال من أجل الحرية،وأكدت الهيئة محاولة طمأنت الجانب الجزائري من شريحة الطلبة على الخصوص أنه بالرغم من البعد الجغرافي ومحاولات التفرقة التي تمارسها السلطات الفرنسية فإن الزيتونيين مصممون على مواصلة دعم أشقائهم الجزائريين.[24]

من جهتها أعلنت هيئة التدريس بجامع الزيتونة بيان بتاريخ29مارس1956،أبرزت فيه بوضوح موقف النخبة التونسية من القضية الجزائرية وايمانها العميق بضرورة استرجاع الجزائر لسيادتها ونصرتها لكفاح وحدات جيش التحرير الوطني ونددت بالعمليات القمعية التي كانت تطال الأبرياء جراء تطبيق سياسة العقاب الجماعي التي كان يمارسها جنرالات الجيش الفرنسي،كما ناشدت الهيئة الحكومة الفرنسية ممثلة في رئيس الوزراء ورئيس البرلمان للعودة الى منطق الحوار والحكمة وتوقيف العمليات الحربية بالجزائر،والاعتراف باستقلال الجزائر والدخول مع ممثليه الشرعيين في مفاوضات جادة ترفع اللبس حتى عن الحكومة الفرنسية وعلاقتها مع الدول الغربية فضلا عن العالم الاسلامي.[25]

2- موقف اللجنة التونسية للحرية والسلم:

هذه اللجنة تأسست منذ 13مارس1949، على يد علي البلهوان ثم خلفه الدكتور سليمان بن سليمان وكانت هذه اللجنة من المناصرين الأوائل للثورة الجزائرية اثر اندلاعها

وذات عنها خلال المؤتمرات التي كانت تعقدها داخل وخرج وتونس وغدت الثورة من اهتماماتها الأولية واعتبرتها قضية الشعب التونسي،ولتحسيس الرأي العام المغاربي والرأي العام العالمي بهموم القضية الجزائرية كانت ترسل برسائل إلى رؤساء وزراء الدول الكبرى تعبر فيها عن احساس الشعب التونسي وتضامنه العميق مع ما يجري في الجزائر من وحشية يرتكبها جيش الاحتلال،كما احتجت على الحكومة الفرنسية التي كانت ترسل بوحدات من المجندين التونسيين الى الجزائر لمقاتلة أشقائهم الجزائريين[26].

كما عملت اللجنة على التعبئة المستديمة للشعب التونسي بما يجري في الجزائر من تقتيل وتشريد للأبرياء،عبر بيان أصدرته نددت فيه بشدة بسياسة القمع الأعمى التي كان يمارسها جيش الاحتلال واقترحت تنظيم يوم وطني للجزائر وتوجهت بنداء للنقابات التونسية للنظر في قضية إنزال العمال التونسيين للأسلحة في الموانئ التونسية والتي كان يقتل بها الجزائريون،وعبرت عن دعوتها إلى اللجوء للحلول السلمية لحل القضية الجزائرية حقن للدماء والاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.[27]

3-موقف الجامعة التونسية للقدماء المحاربيين:

تتشكل هذه الجامعة من قدماء الجنود التونسيون الذين حاربوا الى جانب الجيش الفرنسي في الحربين العالميتين الأولى1914/1918/-والثانية1939/1945،اثر سياسة التجنيد الاجباري التي كانت تمارسها سلطات الاحتلال الفرنسية في مستعمراتها،مجندون شاركوا الى جانب الجيش الفرنسي في آسيا وافريقيا وأمريكا،وقد أسست هذه الفئة من شرائح المجتمع التونسي جمعية تدافع عن مصالحها،ولأنها شاركت في الحروب الكبرى فقد ذاقت ويلات الحروب و أدركت حقيقة معانات الشعوب المستعمرة التي كانت تطالب بالحرية والكرامة،الأمر الذي جعل منها تندد منذ الوهلة لانطلاق الثورة بردود الفعل الجهنمية التي مارسها جيش الاحتلال في منطقة الأوراس بفرضه حالة الطوارئ واستعمال النبا لم لضرب

القرى والمداشر،كما استنكرت كل أساليب التعذيب التي مارسها جيش الاحتلال في حق المعتقلين الجزائريين خاصة أولائك الذين نقلوا من الجزائر و اقتيدوا إلى سجن منوبة بالتراب التونسي،لقد استنكر أعضاء هذه الجامعة هذه التصرفات واعتبروها مساسا بالسيادة التونسية التي كانت حديثة النشأة حينها بعد تحقيق الاستقلال الذاتي في مارس1956، كما نددوا بشدة بأساليب الاعتقال التي طالت حتى الجزائريات المناضلات في جيش التحرير الوطني و اللواتي تم نقلهن إلى سجن منوبة حيث مورس في حقهن التعذيب وطالب أعضاء الجمعية بسرعة اطلاق سراحهن وتسليمهن الى السلطات التونسية.[28]

كما نددت الجامعة بحادثة اختطاف طائرة التي كانت تقل زعماء جبهة التحرير الوطني في 1956/10/222،واعتبرت الحادثة سابقة لا مثيل لها وخرقا للمواثيق الدولية واعتبرت هذا العمل اعتداء على تونس ودعت مناضلي الجمعية للاستعداد للدفاع على تونس ثانية إن تطلب الأمر إعلان الثورة على فرنسا لتحرير كافة الشمال الافريقي.[29]

4- موقف حركة التعاون الحر التونسي الفرنسي:

تأسست هذه الحركة من قبل مجموعة من الشخصيات التونسية والفرنسية اثر اندلا ع الثورة الجزائرية ،ودعت عقب اندلا ع الثورة إلى ضرورة الاستجابة لمطالب ثوار جبهة التحرير الوطني والجلوس على طاولة المفاوضات،لأجل ذلك نددت بشدة بحادثة اختطاف زعماء جبهة التحرير الوطني في 1956/10/22،واعتبرت الحادث مساس بالمواثيق الدولية وانتهاك للسيادة التونسية لأنها كانت الراعي الشخصي للمفاوضات التي كان قادة جبهة التحرير الوطني يعتزمون خوضها مع الجانب الفرنسي بواسطة مغربية تونسية،كما نشرت الحركة بيانا استنكرت بشدة الحادث وعبرت عن استيائها لهذا النوع من العمل الذي مس بسيادة الدولة التونسية والمغربية على حد سواء وحط من صورة

فرنسا كما حذرت من عواقبه واعتبرتها لا تنبأ بأي حل سلمي للقضية الجزائرية على الأقل في الآجال القريبة. [30]

هذا وقد أرسلت الحركة وفد عنها إلى الحكومة الفرنسية بباريس وشرحت للمسئولين الفرنسيين انعكاسات هذه الحادثة على مسار العلاقات التونسية الفرنسية وتأثيراتها على الجالية الفرنسية بتونس،كما أرسلت الحركة ببرقية إلى رئيس الوزراء الفرنسي غي مولي،استنكرت فيها حادث الاختطاف،واعتبرته مساسا بمبدأ الضيافة التونسي والذي هو مقدس لدى المجتمع التونسي ومن شأنه أن يخل بالعلاقات التونسية الفرنسية،كما دعته إلى ضرورة إطلاق صراح زعماء الجبهة والعودة إلى تبني الحلول السلمية لحل القضية الجزائرية. [31]

5–موقف دائرة الإفتاء:

لقد أسست هذه الهيئة لجنة دينية ضمت علماء وفقهاء تونسيين للدفاع عن المدنيين الجزائريين في 17سبتمبر1957، وتولى رئاستها مفتي الديار التونسية الشيخ عبد العزيز جعيط وباشرت عملها بتوجيه نداء إلى شعوب العالم المتمدن وحكوماتهم للدفاع عن المدنيين الجزائريين. [32]

كما استنكر شيوخ وعلماء دائرة الإفتاء الأعمال الإجرامية التي كان يرتكبها جيش الاحتلال الفرنسي في حق الجزائريين وشجب سياسة القمع الاستعماري ممثلة في إقامة المناطق الممنوعة والمحرمة خاصة على المناطق الحدود التي تضرر كثيرا منها سكانها الذين شردوا وغدوا في تعداد اللاجئين[33].

6– موقف المجلس القومي التأسيسي التونسي:

هذه الجمعية تأسست بقرار من الإقامة العامة في 23فيفري1907، وقد أخذت اسم مجلس الشورى حينها ،ثم تحول الى المجلس التأسيسي التونسي،وقد اهتم هذا المجلس بقضايا الثورة الجزائرية منذ اندلاعها واعتبر حل المسألة الجزائرية من صميم استتباب

الوضع في تونس،كما كان المجلس يستنكر الأعمال الإجرامية التي كان يمارسها جيش الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وعبر عن تأييده للكفاح البطولي الذي كانت تخوضه وحدات جيش التحرير الوطني وأعرب عن تضامن تونس مع الشعب الجزائري وحقه في استرجاع سيادته المغتصبة.[34]

كما ساهم المجلس في تدويل القضية الجزائرية بمشاركته في المؤتمرات العالمية التي كان يعقدها مع البرلمانيين العالميين،مثلما كان الأمر اثر مشاركته في الندوة الثامنة والأربعين التي عقدها الاتحاد البرلماني الدولي الذي انعقد بفرصوفيا حيث تولى عبد الرحمان النبي تلاوة اللائحة التي صاغها المجلس التأسيسي التونسي في حق المسألة الجزائرية واعتبر من خلالها حرب الجزائر حرب إبادة ضد الشعب الجزائري[35].

كما أشاد المجلس التأسيسي التونسي بالموقف الذي اتخذه السناتور الأمريكي جون كيندي بخصوص القضية الجزائرية فبعث له ببرقية عبر فيها عن امتنانه لهذا الموقف.[36]

كما عبر المجلس عن صادق ارتياحه للجوء كل من الطرف الفرنسي والجزائري الى خوض غمار المفاوضات بداية من جوان 1960،واعتبر هذا السبيل الخيار الأمثل لحل المسألة الجزائرية على أساس حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.[37]

3-العدوان على الساقية فيفري1958:

غطت جريدة الصباح الفاجعة التي حلت بمنطقة ساقية سيدي يوسف اثر العدوان الغاشم الذي طال المنطقة من طرف جيش الاحتلال ،هذا الأخير الذي احتج بحجة متابعة فلول وحدات جيش التحرير الوطني التي كبدته خسائر كبرى بجبال الكوشة يوم1958/01/11،فاختارت قوات الاحتلال الفرنسي يوم السبت الذي يمتلئ فيه سوق قرية ساقية سيدي يوسف لتنفذ انتقامها.

صورت الجريدة أيضا حدة المأساة بعدد أسراب الطائرات الفرنسية العسكرية المشاركة في العدوان- عشرة قاذفات وأربع مطاردات- و التي حامت فوق سماء الساقية وجعلت تقصف-بحجة تعقب ثوار جيش التحرير الوطني الجزائري- في العزل وتطاردهم بغارات متكررة في سماء القرية ومنجمها الذي لجأ اليه الكثيرين للاحتماء،كما دامت العمليات من الحادية عشرة صباحا الى منتصف النهار،وانتهت بسقوط 68قتيل من بينهم تسع نساء واثنا عشر طفلا والبقية من الرجال،كما تم العثور على سبع وخمسين جثة هامدة وعشرة جرحى استشهدوا بعد نقلهم الى المشافي.

أما الجرحى فقد قدرة الجريدة عددهم بسبعة وثمانين جريح،علاوة عن الخسائر المادية متمثلة في تحطيم خمس سيارات عسكرية وخمس أخرى مدنية واحدة تابعة للصليب الأحمر الدولي و أخرى للهلال الأحمر،وتهديم دار المندوبية وثلاثة وأربعين مسكنا وأربعة وثمانين متجر ومركز الجمارك واردة البريد ومدرسة ابتدائية ومركزين للحرس الوطني.[38]

في حين شكلت الخسائر بمنطقة المنجم التابع للساقية، فاجعة حيث تم تدمير ستة وتسعون مسكن وإدارة الغابات والمناجم ومركز الحرس الوطني.

كما نوهت الجريدة بطبيعة الأسلحة التي استعملها جيش الاحتلال الفرنسي خلال عمليات القصف من قنابل حارقة والقنابل المدمرة ونيران الرشاشات مما أدى إلى إضرام النيران في العديد من المناطق.[39]

لقد علقت الجريدة بطريقة تنمو عن إدراكها كنه السياسة الاستعمارية الفرنسية،التي راحت تتعذر وتختلق في الحجج التي دفعتها إلى تنفيذ عملياتها الإجرامية بحجة ملاحقة فلول وحدات جيش التحرير الوطني التي كانت تنفذ في عمليات عسكرية ضد الطيران الفرنسي انطلاقا من الأراضي التونسية.وتتبعت تصريحات المسئولين

العسكريين الفرنسيين بخصوص مبررات العدوان بحيث اعتبروا الحدود بمثابة منفذ لثوار جبهة التحرير الوطني،وأن الثوار القادمين من تونس يمدون الثورة بالداخل بالسلاح.[40]

كما صرح وزير الدفاع الفرنسي جاك شابان دلماس أن الطيران الفرنسي لم يقم عدا بتطبيق حقه الشرعي في الدفاع.[41]

كما غطت الجريدة مختلف المواقف التي اتخذتها الحكومة التونسية اثر العدوان والتي يمكن أن نوجزها في :- دعوة السفير التونسي بباريس للالتحاق بتونس للاستفسار.

- إحاطة سفير تونس بالأمم المتحدة لاتخاذ الإجراءات القانونية.
- حجر على الوحدات الفرنسية المتواجد بالأراضي التونسية من مغادرة ثكناتها إلا برخصة.
- التأكيد على ضرورة جلاء القوات الفرنسية من بنزرت[42].

كما تقدمت تونس بشكوى رسمية إلى مجلس الأمن الدولي مطالبة باتخاذ قرار حاسم لصالحها ومؤكدة " أن حرب الجزائر ونتائجها لا تهدد تونس فقط بل تهدد السلام العالمي" ،وردت الحكومة الفرنسية برفع شكوى مماثلة ضد تونس عنونتها كالتالي " الموقف الناجم من العون الذي تقدمه تونس إلى الثوار لتمكينهم من متابعة عملياتهم على الأراضي التونسية موجهة ضد وحدة الأراضي الفرنسية".[43]

أدت حادثة الساقية وإثارة المشكل التونسي-الفرنسي بمجلس الأمن إلى إعطاء بعد سياسي وتعبوي لصالح تدويل القضية الجزائرية، لأن تونس أصرت على ربط الخلاف بالمشكل الجزائري وقبلت الاحتكام إلى القرارات الدولية قصد فرض ضغوط دولية على الحكومة الفرنسية، وخوفا من التدخل السوفياتي في قضايا الشمال الإفريقي سارعت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لعرض وساطتها على فرنسا وتونس في إطار المساعي

الحميدة التي قبل بها الطرفين، وتمسك كل منهما بشروطه لإنجاحها، فقد أرادت فرنسا تقييد المساعي الحميدة وحصرها في المشكل التونسي والتمسك ببقاء القوات الفرنسية بتونس، في حين كان الموقف التونسي يؤكد صراحة " أن على العالم الغربي أن يغتنم الفرصة لحل المشكل الجزائري كضمان وحيد للحفاظ على السلم بالمنطقة، وقد عولت الحكومة التونسية كثيرا على المساعي الحميدة الأمريكية البريطانية لوضع حد لتواجد القوات الفرنسية بالبلاد، وتحسيس العالم الغربي بخطورة المشكلة الجزائرية على مصالحه بالشمال الإفريقي، وأنذر الرئيس بورقيبة الرأي العام الدولي والأوساط الأمريكية بخطورة الوضع في الشمال الإفريقي إذا لم تتم الاستجابة" إلى نـدائي بشأن إنهاء الحرب الجزائرية"[٠]،وأكد إثر اجتماعه برجلي المساعي الحميدة (الأمريكي روبير مورفيي والبريطاني هانولد بيلي) تداخل الأزمة التونسية –الفرنسية مع قضية الجزائر قائلا: " إن مهمتكما سيكون محكوما عليها بالفشل إذا لم تعالجوا جوهر المشكل وهو حرب الجزائر"[٠]، وتأكد فشل جهود الوساطة نظرا لاختلاف مواقف الطرفين الفرنسي والتونسي، ورغم ذلك فإن المساعي الحميدة أثارت تدخل الولايات المتحدة الأمريكية لتعرب عن موقفها بضرورة حل القضية الجزائرية في إطار العالم الحر وأثار هذا التدخل مشاكل سياسية للحكومة الفرنسية أضعفت من موقفها بالشمال الإفريقي[٠].

مما سبق يتضح لنا أن تضامن الرأي العام التونسي مع الثورة الجزائرية أعطى دعما سياسيا مهما لكفاح الشعب الجزائري، وقدم ضروبا مختلفة من الدعم والمؤازرة، وذلك بالشكل الذي جعل السياسة الفرنسية تفشل في عزل الجزائر عن عمقها التونسي، وإن ضغوط فرنسا واعتداءاتها على تونس زادتها تأكيدا على ضرورة وضع حد لحرب الجزائر، وتعزيز مواقف جبهة التحرير الوطني بالدعم العسكري والسياسي الذي كان له تأثيره على تدويل القضية الجزائرية وتوسيع نشاط الثورة التحريرية، وإن كل هذه المواقف

أضفت على العلاقات الجزائرية . التونسية في المرحلة المدروسة تحسنا ملحوظا خدم سياسة التضامن المشترك والأخوة المغاربية.

***الهوامش:**

[1] رخيلة عامر، الثورة الجزائرية والمغرب العربي: المصادر، مجلة يصدرها م و د ب ح و ث 1954، الجزائر ،العدد 1(صيف 1999)،ص 142-143.

[2] الديب فتحي: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984، ص 180.

[3] Aleya sghaier .les tunisiens et la revolution algerienne in Methdologie de l histoire des mouvements nationaux au Maghreb le 1er congre duforum d histoire contemporaine , publications F TRESI tunisie 1998 pp 123 135

[4] المدني أحمد توفيق : حياة كفاح مذكرات ،الجزء الثالث ،ط 2 ،م و ك ، الجزائر ، 1988 ،ص 152 .

[5] ارسل عبان رمضان كلا من حامد روابحية و آيت أحسن لتمثيل جبهة التحرير الوطني بها عوض عبد الحي الأوراسي لكن هذا الأخير لم يتقبل الأمر بسهولة و أدت الخلافات بينه وبين جماعة الداخل إلى تدخل السلطات التونسية التي طالبت من مسؤولي الوفد الخارجي تنحية عبد الحي فأرسل ابن بلة علي محساس كممثل لجبهة و جيش التحرير الوطني بتونس ، ينظر شهادة روابحية حامد ب، عباس محمد : رواد الوطنية ،ط 1 ، مطبعة دحلب ، الجزائر ، 1992 ، ص ص 246 – 248 .

[6] أحمد محساس علي : من الأعضاء البارزين في حزب الشعب ، ساهم في تأسيس اتحادية الجبهة بفرنسا ثم انتقل إلى القاهرة سنة 1955 ليكلف بمسؤولية التسليح بليبيا ثم عين مسؤولا سياسيا و عسكريا بتونس ، حيث قام بتنظيم القاعدة و تفعيل نشاطها و نظرا لموالاته لابن بلة عارض جماعة الداخل ، فتمت تنحيته من قبل لجنة التنسيق والتنفيذ .

[7] أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 154.

[8] تقرير رئيس بعثة جبهة التحرير الوطني بتونس الى الحكومة المؤقتة المؤرخ يوم 7نوفمبر 1960 ANA GPRA la tunisie de bourguiba devant la revolution algerienne . b.302.dos 7..4

[9] الحبيب بورقيبة: من أقوال المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة، ط1، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس 1984، ص. 75.

[10] جوان غليسبي: الجزائر الثائرة،ترجمة خيري حماد ،ط1،دار الطليعة ،بيروت،1961،، ص. 154.وشهادة عبد الحميد مهري ،مقابلة مع الباحث ،الجزائر ،2اوت 2005

[11] خطاب الرئيس الحبيب بورقيبة في مجلس الأمة التونسي يوم 19 أفريل 1956، الرائد التونسي ،عدد يوم 21 اافريل 1956.

[12] حمدان محمد: حمدان محمد:دليل الدوريات التونسية الصادر بالبلاد التونسية من 1938/الى 20مارس1956،بيت الحكمة قرطاج تونس1989 ص85/84

[13] نفسه ص/58

[14] الصباح: ع1160: 04أكتوبر1955،تعليق على مشاركة التونسيين.

[15] الصباح: ع25/1284فيفري1956.

[16] الصباح: ع17/1429جويليه1956.

[17] الصباح/ع:04/1164أكتوبر1955.

[18] الصباح/ع:09/1165أكتوبر1955.

[19] الصباح/ ع:1169/ 14أكتوبر1955.

[20] الصباح /ع04/1290مارس1956

[21] الصباح: ع1573، 01فيفري1957.

[22] الصباح: ع: 23/1616مارس1957

[23] العمل: ع:06/12نوفمبر1955.لائحة المؤتمر الزيتوني

[24] الصباح، ع 22/1255جانفي1956تضامن صوت الطالب المسلم مع الطلبة الجزائريين.

[25] الصباح، ع 29/1312مارس1956/بيان هيئة التدريس بجامع الزيتونة.

[26] الطليعة ع11/14نوفمبر1955. رسائل الى وزراء الخارجية الأربعة الكبرى.

[27] الصباح ع27/1386جوان1956

[28] الصباح ، ع:1415/،12أوت1956،بيان الجامعة التونسية لقدماء المحاربين.

[29] الصباح:24/1487أكتوبر1956. بيان الجامعة التونسية لقدماء المحاربين

[30] العمل: ع24/311أكتوبر1956.

[31] الصباح: ع/1956/10/24/1487/برقية حركة التعاون الحر التونسي الفرنسي لرئيس الوزراء الفرنسي غي مولي.

[32] الشابي محمد لطفي:الدولة التونسية الجديدة والثورة الجزائرية1954/1958،الجزائر2002

[33] العمل ع18/592سبتمبر1957 اللجنة الدينية للدفاع عن المدنيين الجزائريين.

[34] العمل ع31/188ماي1956.

[35] العمل ع02/1202سبتمبر1959.

[36] الصباح ع 21أفريل 1960

[37] الصباح ع جوان1960

[38] العمل: العدد 09/715فيفري1958.

[39] اعتداءات على ساقية سيدي يوسف،العمل نفس المصدر السابق.

[40] العمل نفسه تصريحات الجنرال لاكوست.

[41] نفسه تصريحات وزير الدفاع الفرنسي.

[42] نفسه اجراءات تونيسة.

[43] بلاسي نبيل: الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990، ص 187